**المحاضرة الرابعة**

**مباحث الفلسفة الإسلامية**

**عنوان الدرس: مبحث النفس**

**معنى النفس فلسفياً :** مــن أبــرز مــن اهــتم بمعنــى الــنفس مــن الفلاســفة ســقراط" ومــن ســار علــى نهجــه مــن تلاميذه، ومن أبرزهم أفلاطون، وأرسطو .فطبيعـة الـنفس الإنسـانية عنـد أفلاطـون مـن طبيعـة الآلهـة الخالـدة، فقـد صـنع االله نفـس الإنسان من جوهر نفوس الكواكب الخالدة، ورغم أن النفس الإنسـانية تبـدو حادثـة فـي محـاورة التيمـاوس" إلا أن أفلاطـون قـد أكـد فـي المحـاورات الأخـرى مثـل "فيـدون" علـى إن الـنفس مـن الأزل كانت تعيش مع الآلهة في العالم العقلي الذي يفوق السماء، وبهذا فالنفس عنده أزلية .

يعـرف أرسـطو الـنفس أنهـا كمـال أول لجسـم طبيعـي آلـي قابـل للحيـاة" فهـي التـي تكمـل الجسد الطبيعي الحي فتجعله ذي نفس بالنسبة للحيوان، ومفكر بالنسبة للإنسان.

تحتل مسألة «النفس» مكانا بارزا على صعيد الفكر الإنساني عامة، والفكر الفلسفي على وجه الخصوص. فعلى المستوى الأول؛ يمكن **القول:** إن الإنسان قد انشغل منذ نشأته بالسؤال عن هويته: من يكون؟! وما سبب وجوده وغايته؟! وقد ارتبط ذلك كله بقلقه على مصيره ونهايته. أما على الصعيد الفلسفي؛ فلا يكاد يوجد فيلسوف واحد - على مدار التاريخ - لم يهتم بمبحث «النفس» وقواها، وما يتعلق بنشأتها وخلودها. فمنذ أن نبه أرسطو إلى أهمية دراسة «النفس» والفلاسفة يأخذون بموقفه حرفيا!! **أما على مستوى الفلسفة الإسلامية**؛ فإننا نلحظ اهتماما متناميا بمباحث «النفس» وارتباطاتها بمختلف المستويات الفكرية والدينية، السياسية والاجتماعية، حيث برز العديد من الفلاسفة المسلمين في الدراسات النفسية نتيجة تأثرهم بكل من: التراث الفلسفي الإغريقي من جهة، والأثر الديني الإسلامي من جهة أخرى.

وفي الأحوال كلها، لقد وقف فلاسفة الإسلام على حقيقة التراث الإغريقي فاستوعبوه استيعابا يقظا ذا حاسة نقدية بالغة، واستطاعوا الملاءمة بين جملة الأفكار المتعارضة داخله أولًا، ثم قاموا بمحاولة ملاءمته مع معطيات الرافد الإسلامي ثانيا، فيما عرف بعملية "التوفيق بين الدين والفلسفة"

**تطلق لفظة «النفس» في اللغة** لتعني: حقيقة الشيء، وذاته، ومجموعه. كما أنها ترد في كلام العرب على نحوين رئيسيين: أحدهما، قولك: خرجت نفس فلان؛ أي روحه! وثانيهما يكون معنى النفس فيه: جملة الشيء، وحقيقته! تقول: قتل فلان نفسه، أي أوقع الهلاك بذاته كلها. **والنفس في نظر القدماء موقعها**: إما القلب، أو الدم، أو الكبد، أو قسم من أقسام الجسم!! هذا وقد ورد ذكر لفظة «النفس» ومشتقاتها في القرآن الكريم في مائتين وثمانين موضعا. والملاحظ أن ثمة استعمالين للنفس في القرآن الكريم: أولهما هو ما يمكن تسميته بالاستعمال العام، وفيه تطلق لفظة «النفس» على عدة معان متباينة، فيقصد بها مثلا: «الفرد من الناس»، كما **في قوله تعالى**: «من أجل ذلك كتبنا علي بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا». أو تطلق لتعني شخصا بذاته، كما في قوله تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة»، أو يقصد بها ما تخفيه النفس، كما في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: «تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب» أي: ما في سري.

**ثانيهما**: هو ما أطلقت فيه «النفس» بوجه خاص، بمعنى أن تستعمل بمعناها المتداول بين الناس؛ ألا وهو: النفس الإنسانية. فقد بين القرآن الكريم وجودها، وأكد على وفاتها، كما في قوله تعالى: «**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى**»، وكما في قوله أيضا: «ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم"....ولا أدل على شرف «النفس الإنسانية» من قسم الله عز وجل بها، كما في قوله تعالى: «ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها». وبالإضافة إلى ما سبق، اهتمت العديد من الآيات القرآنية ببيان نشأة الإنسان، وتوضيح الأطوار التي مر بها في مراحل خلقته، كما في قوله تعالى: «ألم يك نطفة من مني يمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى»؟! ليس غريبا إذن، والحال هذه، أن يأتي مبحث «النفس» على رأس اهتمامات فلاسفة الإسلام حيث احتلت لديهم المكانة ذاتها التي حظيت بها من قبل لدى أرسطو ومعظم الفلاسفة. فمعرفة «النفس» تأتي في المرتبة الأولى مقارنة بسائر أنواع المعارف! ويكفي للتدليل على ذلك إفراد ابن باجة مؤلفا كاملا - وإن لم يصلنا كذلك - بعنوان: «كتاب النفس»! ولعل سبب ذلك معرفته بدقة مباحثها، ولكونها موصلة لحقائق العلم الطبيعي؛ ولأن معرفتها تمثل بداهة مقدمة طبيعية لأي علم من العلوم الطبيعية أو حتى الإلهية، وهو ما أكده فيلسوفنا بالقول إن: «العلم بالنفس يتقدم سائر العلوم الطبيعية والتعاليمية بأنواع الشرف كلها".

**الشارح الأكبر** أما أكثر الفلاسفة تأثيراً في الغرب أبو الوليد ابن رشد، الذي عُرف بالشارح الأكبر لأرسطو، والذي عرف تياره بالرشدية في أوروبا القروسطية، فقد كان يقول إن «الكلام في أمر النفس غامض جداً، وإنما اختص الله به من الناس العلماء الراسخين في العلم، ولكن في تعريفه للنفس لم يخرج ابن رشد عن غيره ممن سبقه من الفلاسفة المسلمين»، فقال: «إن النفس هي صورة لجسم طبيعي آلي، فكل جسم مركب من مادة وصورة، وكانت الصورة في الحيوان هي النفس». ومما يذكر هنا ان ابن رشد، وعلى خلاف غيره، ركز على أدلة جديدة تثبت وجود النفس وذكرها وشرحها مستفيضاً في كتابه «الكشف عن مناهج الأدلة». وأذكر منها على سبيل المثال دليلين هما: دليل العناية ودليل الاختراع.